

صحوة الذاكرة

بيار رفول

القائد (١٧)

«صباح اليوم الثاني لاندلاع المعارك بين «القوات اللبنانية» والجيش، زار رئيس الرابطة المارونية المحامي شاكر أبو سليمان والسيد جبران التويني العماد عون في القصر الجمهوري وكنت حاضراً للقاء. أبدى التويني رأيه بالأوضاع مركزاً على أن من حق الجيش أن ينهي الوضع الشاذ السائد منذ زمن، والذي ندفع من جرائه الثمن تلو الثمن. عقب أبو سليمان على هذا الرأي قائلاً أنه لا يجوز أن تبقى الأوضاع فالتة ونظماً خاضعين لمزاجية القوات. على الدولة أن تحزم أمرها وتضع حداً لكل من يعرقل مسيرتها. ثم تابع قائلاً بأن على الجميع أن يساندوا الجنرال الذي ردّ للبنان اعتباره، وللشعب اللبناني حريته وكرامته، وختم حديثه داعياً الجميع أن يختاروا بين الدولة والمزرعة، بين الأمن والفلتان، بين النظام والفضوى وان يعلنوا قرارهم واضحاً.

انتهت الصبحية على هذه الوتيرة من الوضوح في الموقف والدعوة الى حسم الوضع بصورة نهائية. في اليوم التالي، عاد أبو سليمان الى بعيدا عابساً مقطب الحاجبين وملبكاً. التقى الجنرال وبادره بلهجة مرتبكة قائلاً: «هالحرب وسخه يا جنرال وما كان لازم تصير. وكل واحد عليه انو يتنازل شوي عن حقوقه و... * أنا رئيس دولة ومسؤول عن كل لبناني. الحقوق اللي عم تحكي عنها هي حقوق كل مواطن. والجيش عم يضبط الامن وهيدي مهمته وواجبه. معك حق. لكن بدك نظريها.

* شو أنا حميتها يا شاكر؟ ما انت عايش القصة وعارف الحقيقة وكنت عم بتعاني من الشواذات. - مضبوط بس لازم نلاقيها حل.

* ايدي بزّارك. بس مش ع حساب هيبه الدولة وامن المواطنين».

تعجب الحاضرون من موقف رئيس الرابطة المارونية المستجد. وبعد انتهاء اللقاء وذهب أبو سليمان سألت الجنرال: «شو عدا ما بدات مبارح كان عم يحكي شي واليوم غير؟ فأجابني قائلاً: «شوف شاكر آدمي ومليح. بس هالعقلية المرتة وهالمواقف المتضاربة هي اللي وصلت لبنان لهون».

في العام ١٩٩٠ عرض الحريري مبلغاً من المال على دولة الرئيس العماد ميشال عون، بواسطة جهات غربية، كي يستعفي من منصبه ويغادر لبنان؛ فسخر الجنرال من العرض ورد بطرافته رافضاً الموضوع وقال: «اذا هالمبلغ لي فانا بالمعمر اللي باقيلي ما بقدر اصرفه، واذا كان للبنان فكتير قليل».

لقاءاتنا مع العماد عون كانت ضرورية جداً. فالجنرال هو القائد والملمهم والمشجع والحاضن لتلك الانتفاضة الفريدة من نوعها، ونحن كنا الإطار التنظيمي والتنفيذي والعملائي لها. لذا كنا نلتقي معه بصورة دورية، نتبادل الآراء ويعطينا توجيهاته. كان يركز على الشعب وإعطائه الدور الاساسي. في كل اجتماع كان يكرر علينا القول: «شجعوا الناس وساعدوهم كي يعبروا عن رأيهم بحرية، بالطريقة التي يرتأون وبمناصرة او معارضة من يريدون، لأن هذا اساسي في عملية البناء وطريقة التغيير ونمط التحرير ويقظة الوعي التي نبغي الوصول اليها وتطبيقها ونشرها واتخاذها نهج حياة...» ورداً على اطلاعه على اتصالنا ببعض السياسيين كان يجيب: «مليح كتير تتصلوا بالسياسيين ولكن بهالمرحلة اتصالكن بالشعب وتوعيته، وعملكن معه اهم بكتير، لأن الوحدة الوطنية الحقيقية هي وحدة الشعب على قواسم مشتركة وقناعات واحدة». كما كان يصر على مصارحة الناس فيردد علينا باستمرار: «صارحوا الناس بكل شي حتى ولو كان خطير».

كان يعطي اهمية كبيرة لسلوكيتنا في العمل من استقامة وتواضع ونظافة كف وبساطة ووضوح. فكان يقول منبهاً: «لا تهتموا بالمكاتب الفخمة والفرش الثقيل وكثرة السكرتارية، بتفقدوا طهارتكن بالعمل وثقة الناس فيكن. شوفوا غيركن شو صار فيه لمن زاح عن الهدف وتلهى بالقشور. بكرسي وطاولة وتلفون وقناعة بالشغل بتعملوا اللي ما بينعمل وبكرا بتشوفوا والايام جابي. كونوا متواضعين ونضاف وبسيطين وواضحين ولا تعقدوا الامور».

وأمام أسئلة التحدي التي كان يطلّقها بعض السياسيين المغرضين مثل: «ما هو مشروع الجنرال السياسي؟» وتحدى العماد ان يكون عنده طرح سياسي، او لي طرح مشروعه فنختلف معه او نتفق؟... كنا نلجّ عليه ان يعقد مؤتمراً صحفياً ويعلن برنامجه او ينشره في الصحف، فكان يبتسم ويقول: «عم يستفزوني بأسئلتهم ت عمل اللي عم تطلبوه مني وساعتها بيحترق المشروع وبيصير مثل قميص عثمان، سلعة للمتاجرة والمزايدة. شوفوا كم مشروع للحل انعرض؟ في اكثر من عشرين مشروع وكلّ محطوطين ع الرف. رح احتفظ بالمشروع حتى نتوصل انو نقدر كلبنانيين نتحاوّر بين بعضنا بحرية وبصراحة، وقتها بيكون طرح المشروع بمحلّه وقابل للمناقشة بجو هادي وبعيد عن التشنج والاستغلال».

• يتبع •